الاب انطونيوس شبلي اللبناني

١٨٩٤ — ١٩٦٤

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

وكنت أحبّ أن يتصمّ في هذه المجلة الى صديقه ورفيقه وأخيه في الرهبنة الاب مبارك ثابت كما كان في الحياة رفيقه وصديقه واخاه . وكيف أرجئ هذه الكلمة الى السنة القادمة وقد عرفت مما عرفت من اخوة الابوين ومن تكاتفهما في العلم والادب ومن محبة صادقة امينة كنت الشاهد العيان لها وكنت اغرف من هذين البحرين امانة وسعة معلومات وعلماً لهذه المجلة التي باتت مجلتهما اذ انهما حبّرا المقالات العديدة لها وكانا من المفلحين .

أعود الآن من دير سيدة المعونات في جبيل المدينة التي احبّها الاب شبلي حيث رافقت جثمان الصديق الى مثواه الأخير . مات ولم يجب ان تطول مدة مرضه وكان في الليلة الماضية يخطّ من قلمه السيّال مقالة للمشرق . مات وهو حامل ما كان لشهرته الادبية والتاريخية والعلمية آلة طائعة في يد سبكت الجمل وحبكت المعاني ودقّقت في الاسلوب فكان على بعض الترديدات ثرياً قوياً واسع الآفاق . فيوماً عندما قرأ المرحوم الاب اسحق ارملة الذي كان يجيد العربية مقال الاب شبلي في « السرقة الادبية » قال لي : وكأني بقلم وبنفس ابراهيم اليازجي .

مات الاب شبلي وخسرت فيه مجلة المشرق أديباً كان في « الآثار المطويّة » ينشر من بطون المخطوطات والوثائق القديمة ما كان دفيناً ؛ وخسرت فيه مؤرخاً كان له من ذاكرته ان يضفي على المقالة رونقاً وبهجة وسعة معلومات لا مثيل لها ، وخسرت فيه ناقداً وكأنه تتلمذ في الجامعات على اشدّ المعلمين علماً وحصافة فنشر مخطوطات وحقّقها فصارت مرجعاً . ولقد اراد دوماً ان ينشر ايضاً « الفوائد الطبية » وهي لتاريخ الطب في زمن من الأزمنة نقطة مهمّة يعود اليها المؤرّخ فيرى ان العرب كان اهتمامهم بالاعشاب ولهذه الأعشاب الفائدة الكبرى .

مات الأب شبلي وقد خسرت فيه الرهبنة اللبنانية الجليلة علماً من اعلامها . عرفتهم ثلاثة الاب بطرس ماره والأب مبارك ثابت والأب شبلي ، ثلاثة كان لصداقتهم اثر كبير في انتاجهم والثلاثة حملوا القلم ودبّجوا المقالات وخدموا ما

أعطوا من حياة . وكانوا كلّهم رهباناً يُحدّون وراء الكمال فصرفوا الحياة في الزهد والتقشّف وخدمة النفوس وذلك الشوق الى العلم فنالوا من الشهرة القسط الكبير .

ابتدأ الأب شبلي بكتابة المقالات لمجلة المشرق وهو لا يزال بعد راهباً صغيراً فتح له المرحوم الأب لويس شيخو مؤسسها ابوابها فبرهن عن سرعة خاطر وذكاء نبيه وروح علميّة أعجب بها قارئيه وكلّ على هذا المنوال الى ان وقع القلم من يده قسراً .

ولكنّ غيرته على الأدب لم تكتف بالمقالات العديدة التي اودعها مجلة المشرق فنشر صفحات تاريخية قيّمة في مجلة « الورود » التي اسسها اخوه بديع وسار في التأليف فوضع كتابه عن اليازجي وترجم كتاب المعزية الالهية ونشرت واياه تاريخ احمد باشا الجزار وتاريخ الرهبانية الشريرية في مجلّد واحد حوى الوثائق الأثمن التي لولاه لضاعت .

هذا شيء من كثير عن الأب شبلي الذي يتوارى مع موته خمسون سنة جهاد وتنقيب وخدمة . اقول وخدمة وانا على يقين ان الخدمات التي اداها للادباء وللمؤرخين كانت عديدة ، فما من أحد لجأ اليه طالباً بعض المصادر أو الوثائق او تذكير بعض الحوادث الاّ وجد الضالة المنشودة وسار الى وضع الأمور في نصابها.

وماذا اقول بعد في هذه الشخصية الغنية الثريّة . ماذا أقول وقد عايشته خمس عشرة سنة وكنت منه في مقام الصديق والاخ . كنّا نعمل في خدمة المجلّة سويّة ولم يكن له منذ ان عرفته الاّ ان يُعطي مجلة المشرق من عصارة قلبه وعقله . وكم مرّة كان يتّصل بي هاتفياً ليطلعني على مجرى مقال او على اكتشاف وثيقة هي للمشرق . كان فرحه عظيماً لخدمة هكذا عاش وروحه في افتقار دائم الى الخدمة . عبر الطريق وكان خيّراً .

نم يا صديقي مرتاحاً في الأخدار السماوية حيث الله الذي احببت يجازي الجنود امثالك جزاء الظافرين بخدمة الخالق وخدمة القريب .

بيروت في ١٩ كانون اول ١٩٦٤